



السير على منهاج النبوة

د/ عبدالله إسماعيل عبدالله هادي



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولي الصالحين، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله إمام المتقين، صلى الله عليه وعلى آله من الإنس والجن أجمعين.

يقول الله تعالى: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨].

وقال: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ

لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الجاثية: ١٨].

وقال النبي -ﷺ- لأصحابه قبل موته: (قَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ لَيْلُهَا

كَنْهَارِهَا، لَا يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلَّا هَالِكٌ) [صحيح: رواه أحمد، وابن ماجه،

والحاكم]. وقال -ﷺ- مبشراً بسير الأمة في آخر فترات حكمها: (ثُمَّ تَكُونُ

خِلَافَةً عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ) [حسن: الطيالسي، وأحمد، والبخاري].

ومنهاج النبوة هو السير على الوحي، وهو دين الإسلام، والصراط

المستقيم، وهو هدى الله الذي من سار عليه فلا يضل ولا يشقى، وهو

الشريعة التي أمر الرسول -ﷺ- أن يتبعها، وهو المصدر الوحيد لجميع

المصادر التشريعية المعتمدة، وهو الذي أمر المسلمون أن يستمسكوا به،

وأن يبلغوه لغيرهم، وهو المعجزة الخالدة، وهو النجاة من كل

الانحرافات، والعاصم للأمة من التفرق والتمزق، وهو الذي صلح به صدر هذه الأمة لما اتبعوه واستمسكوا به، واهتدوا بنوره، ولا يصلح آخرها إلا به.

وهذا الوحي -أيضاً- هو نفسه الذي سار عليه الصحابة، وكانوا عليه، وأكثرهم متابعة له الخلفاء الراشدون الأربعة، وهو الذي مشى عليه المؤمنون من أهل بيته -ﷺ-، وهو سبيل المؤمنين من اتبع غيره فهو من أهل النار، وهو الذي يمشي عليه المهديون من هذه الأمة، وهو الطريق إلى الربانية دراسة وتدریسًا.

قال تعالى لرسوله: ﴿فَأَسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الزخرف: ٤٣]. وقال لجميع الناس: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٣]. وقال: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّيْكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣]، إلى غير ذلك من الأدلة القطعية المتواترة التي تدل على هذه الحقيقة.

وفي ثنايا هذه الأبيات وشرحها أردنا أن نوضح معالم هذا السبيل مع أنه جلي وواضح، ولكن من باب تبيان البائن، وتوضيح الواضح.

والله نسأل أن يمن على المسلمين بالعودة على منهج النبوة حكومة وأمة، وأن يوحدهم على قائد رباني يقودهم بالوحي إلى بر الأمان، وعلى الله التكلان، وهو المستعان.

السِّيَرُ عَلَى مَنَهِاجِ النَّبِوَّةِ

- ١- السِّيَرُ بِالنَّاسِ عَلَى الْمُقَرَّرِ
 - ٢- يُحْصَرُ فِي الْوَحْيِ الَّذِي أَنْزَلَهُ
 - ٣- نَهْجُ النَّبِيِّ جَامِعٌ وَشَامِلٌ
 - ٤- وَوَسْطِيٌّ نَافِعٌ مُيَسَّرٌ
 - ٥- وَإِنَّهُ شَرِيعَةٌ مُهَيَّمَةٌ
 - ٦- وَذَا الْبَيَانِ بِاللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ
 - ٧- بَلَّغَهُ عَنِ رَبِّنَا وَاتَّبَعَا
 - ٨- وَإِنَّهُ مُعَلِّمٌ وَدَاعِيَةٌ
 - ٩- وَوَعِيَّهَا عَنِ قَلْبِهَا وَالْبَصَرِ
 - ١٠- سَبِيلُ فَفَقِهِ الْوَحْيِ وَالْقَبُولِ
 - ١١- وَالْوَارِثُونَ مِنْهُمْ فَلْيَقْتَدُوا
 - ١٢- وَيَسْأَلُكَونَ فِي صِرَاطِ اللَّهِ
 - ١٣- وَيُلْحِقُونَ بِالنَّوَازِلِ الْهُدَى
 - ١٤- وَالْحَاكِمُونَ الْمُهْتَدُونَ يُلْزَمُونَ
- مِنْ رَبَّنَا عَلَى جَمِيعِ الْبَشَرِ
إِلَى كِتَابِ سُنَّةِ فَصَلَهُ
وَعَالَمِيٌّ خَالِدٌ وَكَامِلٌ
وَمُعْجِزٌ وَمُنْذِرٌ مُبَشِّرٌ
مِنْ رَبِّنَا مَحْفُوظَةٌ مُبَيَّنَةٌ
وَخَيْرٌ مَنْ طَبَّقَهُ هَذَا النَّبِيُّ
صِرَاطُهُ وَلَمْ يَكُنْ مُشْرَعًا
تَالِ مُزَكِّ كُلِّ نَفْسٍ وَاعِيَةٌ
وَسَمْعِهَا وَذَا لِكُلِّ الْبَشَرِ
مُدَوَّنٌ فِي الْأَرْبَعِ الْأَصْوَافِ
بِنَهْجِهِ وَغَيْرِهِمْ فَلْيُرْشِدُوا
وَيُوقِظُونَ كُلَّ قَلْبٍ لَاهِيٍّ
عَبْرَ الْقِيَاسِ، لِلْأَنَامِ مُقْتَدَى
شُعُوبَهُمْ شَرِيعَةٌ يُطَبِّقُونَ

- ١٥- وَلَيْسَ مِنْ مَّصَادِرِ الْأَحْكَامِ عَقْلٌ وَكَشْفٌ أَوْ رُؤْيُ الْمَنَامِ
- ١٦- أَوْ رَأْيُ شَخْصٍ وَاتِّبَاعٌ لِلْهَوَى وَالشَّهَوَاتِ وَاتِّبَاعٌ مَنْ عَوَى
- ١٧- وَعَدَّهَا مَّصَادِرَ الْمُنْحَرِفِ مِنْ سَلَفٍ يَكُونُ أَوْ مِنْ خَلْفِ
- ١٨- وَهَلْ لُزُومٌ مَذْهَبٍ يُحَقِّقُ نَهْجَ النَّبِيِّ، قَوْلُ (لَا) بِهِ انْطِقُوا
- ١٩- فَنَهْجُهُ قَدْ رَادَفَ الْإِسْلَامَا وَمَذْهَبٌ بِعَكْسِ هَذَا قَامَا
- ٢٠- فَنَاقِصٌ مُفَرَّقٌ مِنَ الْبَشَرِ وَخَطَأٌ يَلْزِمُهُ عُسْرُ ضَرَرِ
- ٢١- فَالْوَحْيِ حَصْرًا مَصْدَرٌ لِلْمُهْتَدِي مِنْ آخِرِ الزَّمَانِ أَوْ مِنْ مُبْتَدِي
- ٢٢- أُمَّتِهِ نَاجِيَةٌ مَرْحُومَةٌ وَفِي الدُّنَا مَفْتُونَةٌ مَكْلُومَةٌ

الشرح:

ما هو المنهاج المقرر الذي أنزله الله على رسوله؟

١- السِّيَرُ بِالنَّاسِ عَلَى الْمُقَرَّرِ مِنْ رَبَّنَا عَلَى جَمِيعِ الْبَشَرِ

٢- يُحْصَرُ فِي الْوَحْيِ الَّذِي أَنْزَلَهُ إِلَى كِتَابِ سُنَّةٍ فَصَّلَهُ

أي المادة المقررة من الله لِيَدْرُسَهَا جميع البشر وَيُدْرُسُوهَا ويسيروا عليها
تحصر في الوحي الذي أنزله على محمد - ﷺ - وهذا الوحي نوعان الأول
القرآن والثاني السنة؛ وأدلتها على أنهما من عند الله من المعلوم بالدين
بالضرورة؛ فمن أنكر ذلك فهو كافر مكذب بما نزل على محمد - ﷺ -.

وحجية القرآن واضحة ولا يجادل فيها القرآن أحد، ولكن وُجد من لا خلاق
له يجادل في حجية السنة؛ ونذكر هنا بعض الأدلة من القرآن على حجية
السنة، كالاتي:

١- السنة منزلة من عند الله وما دام أنها منزلة فهي مصدر كالقرآن، وقد وردت

في القرآن باسم الحكمة؛ ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ

وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء:

١١٣]. وقوله: ﴿وَأَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ

بِهِ﴾ [البقرة: ٢٣١]. وقوله: ﴿وَأَذْكُرْتَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ

اللَّهِ وَالْحِكْمَةَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَيْرًا ﴿ [الأحزاب: ٣٤]. وقوله عن عيسى عليه السلام: ﴿ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴾ [آل عمران: ٤٨]. فالله علّم عيسى القرآن والسنة ليحكم بهما في آخر الزمان عند نزوله، والتوراة والإنجيل لما كان نبياً قبل رفعه حياً.

٢- الأمر بطاعة الرسول - ﷺ -، قال تعالى: ﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ ط فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكٰفِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٣٢].

٣- ترتيب الوعيد على من يخالف أمر النبي - ﷺ -، قال تعالى: ﴿ فليَحْذَرِ

الَّذِينَ يَخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النور: ٦٣].

٤- نفي الخيار عن المؤمنين إذا صدر حكم عن رسول الله - ﷺ -، قال تعالى:

﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُمِئِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ

أَمْرِهِمْ ﴾ [الأحزاب: ٣٦].

٥- الأمر بالرد إلى الرسول - ﷺ - عند النزاع، قال تعالى: ﴿ فَإِنْ تَنٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ

فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾ [النساء: ٥٩].

٦- جعل الرد إلى الرسول - ﷺ - عند النزاع من موجبات الإيمان ولوازمه، قال

تعالى: ﴿ فَإِنْ تَنٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ

الْآخِرِ ﴾ [النساء: ٥٩].

وأدلة أخرى كثيرة جدًا في إحقاق هذه الحقيقة.

فترى البشرية الآن بما فيها المسلمون لا يُدرسون ولا يُدرِّسون هذا المقرر الرباني، ولم يكتفوا بذلك بل حاربوا أن يُدرَّس هذا المقرر في المدارس النظامية والجامعات؛ ولا أعلم مؤسسة تعليمية نظامية معاصرة تُحفظ القرآن كاملاً فضلاً عن السنة، وإنما هي مؤسسات من جهود الجماعات الإسلامية غير المعترف بها لدى كثير من الدول، فكانت النتيجة شقاء البشرية وتخطؤها في الضلال والفتن والتَّيه، وأصبحت محل تجارب لنظرياتٍ بشرية زادتهم تعاسة وانتكاسة، وتطبيقها كلَّف عشرات الملايين من الضحايا كما حصل عند تطبيق فكرة الاشتراكية، مع أن المنهج الرباني جاهزٌ مجهزٌ للتطبيق ولكن اتخذه وراءهم ظهرًا.

أما المسلمون في زمن عزَّهم فكانت المادة المقررة رقم (١) بعد تعلم القراءة والكتابة في الكُتَّاب هو حفظ القرآن ويختم الطفل عادة في السادسة من عمره، ثم يحفظ السنة، ثم بقية العلوم الشرعية، ثم يتخصص في مهنة من المهن الحرفية والصناعية، فحازوا خيري الدنيا والآخرة، وقادوا العالم في العلم والحضارة والقيم.

ما هي خصائص هذا المنهاج المقرر؟

٣- نَهْجُ النَّبِيِّ جَامِعٌ وَشَامِلٌ وَعَالَمِيٌّ خَالِدٌ وَكَامِلٌ

٤- وَوَسَطِيٌّ نَافِعٌ مُيسَّرٌ وَمُعْجِزٌ وَمُنْذِرٌ مُبَشِّرٌ

٥- وَإِنَّهُ شَرِيعَةٌ مُهَيَّمَةٌ مِنْ رَبِّهَا مَحْفُوظَةٌ مُبَيَّنَّةٌ

أي الكتاب والسنة المُفَصَّلانِ من الله هما منهاج النبي - ﷺ - الذي سار عليه

ومن أخص خصائص هذا المنهاج الآتي:

١. **أنه جامع:** أي يجتمع عليه الناس ويؤلف بين القلوب، ولا تجتمع كلمة

المسلمين إلا عليه؛ قال تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾

وَأَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا﴾ [آل عمران: ١٠٣]، وأمرنا

الله بإقامة الدين؛ لأنه يجمع ولا يفرق، ولم يأمرنا بإقامة أي مذهب؛ قال

تعالى: ﴿أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣]، بخلاف المذاهب

والمناهج البشرية فإنه لا يمكن أن يجتمع عليها الناس؛ وذلك بديهي أن

يجتمع الناس على منهج الذي خلقهم جميعًا ولا يجتمعون على مناهج

بعضهم كونهم مُتساوين، فكلهم مخلوق.

٢. شامل: أي يشمل جميع مجالات الحياة، ولم يُغفل مجالاً من المجالات، قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيِينًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩]، فهو دين ودولة واقتصاد وسياسة وجيش وإعلام ودعوة ومسجد ومدرسة وقانون ... بخلاف المذاهب والمناهج البشرية فإنها ليست بشاملة، إن اهتمت بمجال أهملت المجالات الأخرى؛ وإن من أكبر الانحرافات العقديّة التي لحقت بالمسلمين من جراء الاحتلال الغربي للعالم الإسلامي هو أن أنتجت طوائف من المسلمين يؤمنون بالعلمانية وأنه لا سياسة في الدين ولا دين في السياسة وبمعنى آخر: الله ليس له علاقة بالدولة، وسرت هذه العقيدة الباطلة حتى وصلت لبعض الجماعات الإسلامية التي تهتم بتدريس العقيدة بطريقة قديمة فتجددهم يردون على فرق قد انتهت منذ ألف سنة، وهم منغمسون في الانحراف العقدي المعاصر إلى آذانهم؛ مع أنه من المعلوم من دين الإسلام أنه ما من حادثة إلا والله فيها حكم، سواء تعلق بالدولة أو الشعب، ومن المعلوم أن الدولة تعني الحكم وما يتعلق به، وهذا الباب من أغنى أبواب الفقه الإسلامي، وهل كان النبي -ﷺ- في المدينة إلا

قائد دولة، وأول مؤسس لدولة الإسلام، وباب الحكم غني في الشريعة الإسلامية.

٣. عالمي: أي تشريع للجن والإنس؛ وليس مقتصرًا على أحدهما أو على

قومية دون أخرى بل لجميع المكلفين من الجن والإنس؛ قال تعالى: ﴿وَمَا

أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، بخلاف المذاهب والمناهج

البشرية التي هي مقصورة على أتباعها.

٤. خالد: أي تشريع خالد وسارٍ إلى يوم القيامة؛ قال تعالى: ﴿مَا كَانَ

مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ

عَلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٠]، بخلاف المذاهب والمناهج البشرية فإنها ليست

بخالدة بل متغيرة حتى المذاهب الفقهية الإسلامية المعتمدة، فهذا الشافعي

كان له مذهب في العراق وآخر في مصر وبها توفي، ولو قدر الله أن يعيش في

بيئة جديدة لغير ثالثاً وهذا شأن النتاج البشري، قاصر ومتغير؛ فكثير من

تفريعات هذه المذاهب الفقهية انتهت وخاصةً في باب المعاملات والحكم

وما بنوه على الأعراف من مسائل ولم يبقَ إلا ما كان ثابتاً من باب العبادات؛

بخلاف الوحي الصالح للأبد، المستوعب لجميع المستجدات.

٥. كامل: أي الوحي دين كامل لا يلحقه نقص؛ قال تعالى: ﴿أَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ

لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]

بخلاف المذاهب والمناهج البشرية فهي ناقصة ويكملها أصحابها وينقحونها ويهدبونها من حين لآخر.

٦. وسطي: أي منهج النبوة قائم على أساس التوسط والاعتدال، بلا إفراط

ولا تفريط؛ وهذا المعنى مُعَبَّرٌ عنه في الشرع بلفظ "الوسط" ومشتقاته،

ويعبر عنه أيضاً بلفظ "القصد" ومشتقاته. كقول الله تبارك وتعالى:

﴿وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ﴾ [لقمان: ١٩]. أي اعدل وتوسط في مشيك لا إفراط ولا

تفريط، مجاناً لو ثب الأتقياء ودبيب المتماوتين. ومنه في الحديث:

«والقصدُ القصدُ تبلغوا» [صحيح البخاري]. أي الأمر الأوسط بين المتطرفين

والمتساهلين، والمجافين والغالين.

وقد ورد أن يُسلك الوسط في ضبط الصوت بالكلام، والتلاوة والإنفاق

والأكل والشرب.... وكل الواجبات غير المقدرة في الشرع، سواء كانت

عينية؛ كالنفقات الواجبة، وصلة الأرحام، وتلاوة القرآن، أو كانت كفائية؛

كطلب العلم، والدعوة إلى الله تعالى، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

كلها يسلك فيها طريق الوسط.

وقد رأى النبي -ﷺ- رجلاً يُكثِّرُ الركوع والسجود فقال له على سبيل الزجر: «عَلَيْكُمْ هَدِيًّا قَاصِدًا، عَلَيْكُمْ هَدِيًّا قَاصِدًا، عَلَيْكُمْ هَدِيًّا قَاصِدًا، فَإِنَّهُ مَنْ شَادَّ هَذَا الدِّينَ يَغْلِبُهُ» [صحيح: رواه أحمد والحاكم وغيرهما]. وفي البخاري: "... فزار سلمانُ أبا الدرداء، فرأى أُمَّ الدرداء مُتَبَدِّلَةً، فقال لها: ما شأنك؟ فقالت: أخوك أبو الدرداء ليس له حاجةٌ في الدنيا، فجاء أبو الدرداء، فصنع له طعامًا، فقال له: كُلْ، فإني صائمٌ، قال: ما أنا بأكل حتى تأكل، فأكل. فلما كان الليلُ ذهب أبو الدرداء يقومُ، فقال: نم، فنام، ثم ذهب يقوم، فقال: نم، فلما كان من آخر الليل، قال: سلمانُ: قُمْ الآن، فصلِّيا. فقال له سلمانُ: إِنَّ لِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، ولأهلك عليك حَقًّا، فَأَعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ. فأتى النبيَّ -ﷺ-، فذكر ذلك له، فقال النبي -ﷺ-: «صَدَقَ

سلمانُ». والنص الشرعي الجامع لهذا الوصف هو قوله سبحانه: ﴿وَكَذَلِكَ

جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ

شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣]. فهذه الآية الكريمة جامعة صريحة في وصف الإسلام

وأمة الإسلام ومنهاج النبوة بالوسطية العامة، فصار التوسط والعدل

والاعتدال منهجًا ومسلكًا إسلاميًا، معتمدًا في كل المجالات. بخلاف

المذاهب والمناهج البشرية فقد لحقها من الغلو والجفاء الشيء الكثير؛

وكذلك ما ينقل من أقوال كثير من علماء السلف ومن أعمالهم أنهم يشددون على أنفسهم في العبادة ويهجرون الملاذ ونحو ذلك مما هو مخالف للهدى النبوي ومنهاج النبوة.

٧. نافع: أي كل ما نزل به الوحي وشرعه هو نافع وليس بضر، قال تعالى:

﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَاَلَّذِينَ ءَامَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ۗ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [الأعراف: ١٥٧]، والفلاح هنا في الدنيا والآخرة،

فالوحي يجمع بين مصالح الدارين؛ وذلك أن الذي أنزله هو الذي يعلم السر في السماوات والأرض؛ فكل الذي يتوصل إليه البشر من خلال دراسات مطولة من منافع يجدون الوحي قد كفاهم مؤنته، وقرب مسافته، فالشريعة جامعة لمصالح الدارين، وسعادة الدنيا والآخرة؛ وتتجلى هذه المصالح في حفظ الدين والنفس والعقل والنسل والعرض والمال؛ بخلاف المذاهب والمناهج البشرية ففيها ما هو مصلحة وفيها ما هو مفسدة

وشرعها أصحابها وهم بشر لا يعلمون مصلحة أنفسهم ولا ما مفسدتها
وتتسبب في مفاسد جمّة عند تطبيقها.

والله يعلم وأنتم لا تعلمون؛ فالمصالح التي تضمنها الشرع، وجوباً أو ندباً
أو إباحة، وكذلك المفاسد التي نهى عنها، تحريماً أو كراهة، إنما راعى فيها
ما يقيم المصالح الحقيقية لهذه الحياة الدنيا، ويجعلها مفضية إلى السلامة
والفوز في الدار الآخرة أيضاً؛ وتفاصيل هذا مبسوط في علم مقاصد الشريعة.

٨. ميسر: أي هو منهاج سهل موصوف بالسماحة واليسر؛ قال تعالى:

﴿وَمَا جَعَلْ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨]. وقال: ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ

عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ﴾ [المائدة: ٦]. وقال: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ

بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]. وقال: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ

ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٢٨]. وقال عن نبينا: ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ

الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ [الأعراف: ١٥٧]. وجاء النهي عن الغلو والتنطع

والتشدد؛ بخلاف الأديان السابقة والمذاهب فإن بها عسراً في تطبيقها

والعمل بها.

٩. معجز: أي اشتمل هذا الوحي على الإعجاز بشتى صورته فلا يشتهر جيل بشيء إلا تفوق عليهم وأعجزهم في ذلك الشيء، بخلاف ما يضعه البشر من مناهج وتشريعات ومذاهب فإنه يلحقه الضعف والمخالفة للفطرة والعلم.

١٠. ومنذر مبشر: أي فالوحي جمع بين النذارة والبشارة فهو ينذر بالنار على الكفر وفعل المعاصي، ويبشر بالجنة على الإيمان والعمل الصالح، بخلاف المناهج والمذاهب البشرية فإنها لا تملك جنة لمن أطاعها ولا ناراً لمن عصاها ولا يملكون موتاً ولا حياة ولا نشوراً.

١١. وإنه شريعة: أي الوحي كذلك هو شريعة كاملة فيها من التكاليف والأوامر والنواهي في باب العقائد والأخلاق والعبادات والمعاملات والحكم والعقوبات... قال تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعةٍ مِّنَ الْأَمْرِ

فَاتَّبَعَهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [البجائية: ١٨].

١٢. مهيمنة: أي هذه الشريعة مهيمنة وناسخة لكل ما سبقها من الشرائع؛

قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ

الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨] ولا شريعة بعدها؛ قال تعالى: ﴿مَا

كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَقَانَ اللَّهُ
يَكُلُّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿ [الأحزاب: ٤٠] فكل ما جاء بعدها باطل من وضع البشر.

١٣. من ربنا: أي مصدر هذه الشريعة هو الله؛ قال تعالى: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ

عَلَىٰ شَرِيعةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [البجائية: ١٨].

وقال تعالى: ﴿ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ ﴾

[الأعراف: ٣]، وقال: ﴿ وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾ [آل عمران:

١٠٣]، فحبل الله المتصل بالأرض من السماء هو الوحي الذي أنزله فمن

تمسك به فقد اعتصم بالله؛ ومن لم يتمسك به فقد انقطعت صلته بالله،

وسيكون ضمن أي منهج بشري، وسيضل سعيه في الحياة الدنيا وهو يظن

أنه يحسن صنعًا، وهو في الأخرى من الأخسرين أعمالًا؛ ولن يُقبل منه

شيء؛ لأنَّ الله لا يقبل إلا من عمل بشره.

١٤. محفوظة: أي هذه الشريعة الربانية محفوظة من التحريف والزيادة

والنقصان؛ قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩].

فالوحي الذي أوحى إلى النبي ﷺ -وسار عليه وصحابته موجود معنا ولم

يُحَرِّفَ منه شيء بخلاف الشرائع السابقة فقد حرفها أصحابها، فوحي

القرآن حفظه واضح وهو بين دفتي المصحف من الفاتحة إلى الناس، وأما

السنة فكذاك فقد حفظها الله برجال حفظة عدول ثقات أمناء تجاوز عددهم الآلاف عبر منهج دقيق لم تسبقهم به أمة، ودُوِّنت في كتب السنة، وأهمها ثلاثة عشر كتاباً وهي صحيح البخاري وصحيح مسلم وسنن أبي دواد والترمذي والنسائي وابن ماجه وسنن الدارمي، وموطأ مالك ومسند أحمد وسنن البيهقي الكبرى، وصحيح ابن خزيمة، وصحيح ابن حبان، ومستدرک الحاكم.

١٥. مبينة: أي هذه الشريعة وحي واضح بَيْنٌ مُيسَّرٌ للتدبر والفهم والعمل

والتطبيق؛ ولهذا سماه الكتاب المبين، والبيانات في عشرات المواضع، منها

قوله تعالى: ﴿فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ

عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٠٩]. وقوله: ﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ

وَمَثَلًا مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [النور: ٣٤]. وهذا البيان تولاه

الله ابتداء قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَانصِتْ لَهُ، ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ [القيامة: ١٨]

– [١٩]. وقال: ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾

[البقرة: ٢٤٢]. ونحوها عشرات الأدلة التي يذكر الله فيها أنه بَيْنٌ للناس، وكل

هذا البيان لئلا نقع في الضلال قال تعالى: ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا﴾

[النساء: ١٧٦]. ثم أمر الرسول أن ينقل هذا البيان للناس، قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا

إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَنْفَكِرُونَ﴾ [النحل: ٤٤].

وأمر ورثة الرسل وهم العلماء أن ينقلوه للناس كذلك من دون زيادة أو

نقص، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا

تَكْتُمُونَهُ﴾ [آل عمران: ١٨٧]. فبيانهم هو إبلاغه وإيصاله وعدم كتمان ما

أنزل الله.

فهذه الشريعة مبينة من الله إلى الناس، فالقرآن كتاب مبين وآياته بينات

واضحات وسنة رسوله ترجمة عملية ليزداد المبين بياناً.

كيف بين الله دينه؟

٦- وَذَا الْبَيَانُ بِاللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ وَخَيْرٌ مَنَ طَبَّقَهُ هَذَا النَّبِيُّ

أي كان هذا البيان من جهتين:

الأولى: من جهة اللفظ، فهو بلسان عربي مبين، ودون لفهم اللفظ علوم

اللغة العربية وعلم أصول الفقه وأصول التفسير، ويستعان بفهم العلماء

السابقين الذي دون في كتب الأصول والفروع ومنها كتب المذاهب الفقهية؛

وهذه الفهوم يؤخذ منها ويترك، وقد وجد في هذه القضية طرفان ووسط،

فطرف يغلو في مذهب ويتعصب له في كل شيء وطرف يجفو ويردها برمتها

على أنها نتاج بشري فلم يستفد من جهود من سبقوه من جهابذة الفهم وأساطين العلم، ووسط عدل وهو الحق؛ فإنه يستفيد من فهوم هؤلاء العلماء المدون في المذاهب، وينقح ويرجح بمعايير شرعية مدونة في علم أصول الفقه ولا يُتعصب لأحد؛ فكل يؤخذ من كلامه ويترك إلا المعصوم - ﷺ - .

الثانية: من جهة العمل به في الواقع كنموذج، فقد طبقه النبي - ﷺ - تطبيقاً عملياً حتى لا يبقى مجال يقع بسببه اللبس والخفاء فيكون عذراً لعدم الفهم وترك التكاليف؛ وكان قرأنا يمشي على الأرض، فلم يرحل - ﷺ - من الدنيا إلا وقد ترك الناس على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك.

فمن أراد الترجمة العملية لتطبيق الوحي فعليه أن يدرس وحي السنة النبوية دراسة عميقة وواعية، ليعرف وحي القرآن، وكيفية العمل به، ومنهج تطبيقه؛ فإن السنة وحي، وأحكامها تنوعت كالاتي:

١- **أحكام موافقة لأحكام القرآن:** كحرمة عقوق الوالدين والزنا والخمر، والعصيان.

٢- **أحكام مبينة لأحكام القرآن المجمل:** كتفصيل أحكام الصلاة، وأنصبة الزكاة، والصيام، والحج...

٣- أحكام مقيدة لمطلق القرآن، أو مخصصة لعامه.

٤- أحكام مبتدأة، سكت عنها القرآن وجاءت بها السنة: كوجوب الدية على العاقلة، وميراث الجدة، والحكم بشاهد ويمين، وجواز الرهن في الحضر، وكتحريم الحمر الأهلية، وأكل كل ذي ناب من السباع ومخلب من الطير، والجمع بين المرأة وعمتها والمرأة وخالتها، والأمر بقتل الخمس الفواسق (الغراب، والحدأة، والحية، والكلب العقور، والفأرة) ...

هل النبي مبلغ ومتبع؟ أم مشرع؟

٧- بَلَّغَهُ عَنِ رَبِّنَا وَاتَّبَعَا صِرَاطَهُ وَلَمْ يَكُنْ مُشْرِعًا

أي بلغ الرسول -ﷺ- هذا الوحي، وما مهمة الرسل إلا البلاغ قال تعالى:

﴿ مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ ﴾ [المائدة: ٩٩] وقال: ﴿ إِنَّ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ ﴾

[الشورى: ٤٨] وقال: ﴿ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴾

[التغابن: ١٢]. وليس من حق الرسول أن يأتي بشيء من الشرع من تلقاء

نفسه قال تعالى: ﴿ وَلَوْ نَقُولُ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَابِيلِ ﴾ [٤٤] لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا

مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴿٤٧﴾ [الحاقة: ٤٤ - ٤٧]. وصرح بأنه

هو الذي شرع الشرائع للرسول فقال تعالى: ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى

بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى

أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴿ [الشورى: ١٣]. وقال: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨]. وقال لنبيه: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [البجائية: ١٨].

قوله: (واتبعا صراطه) واتبع محمد -ﷺ- هذا الوحي من الكتاب والسنة تنفيذًا لأمر الله له وهو -أيضًا- حكم عام لأُمَّته من بعده وهو -ﷺ- نموذج للتطبيق العملي لهذا الوحي، ومن أدلة ذلك الآتي:

١- الأمر باتباع الوحي وحده: قال تعالى: ﴿اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ۚ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ١٠٦]. وقال: ﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢]. وقال: ﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَأَصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ ۗ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ [يونس: ١٠٩]. وقال: ﴿فَأَسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ ۚ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الزخرف: ٤٣].

٢- الأمر باتباع الوحي وعدم اتباع الأشخاص مهما بلغ صلاحهم، قال تعالى: ﴿اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٣].

٣- أمره للنبي - ﷺ - أن يصرح بأنه يتبع الوحي ولا يزيد لا ينقص، قال تعالى:

﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ
إِنِّي مَلَكٌ إِنِ اتَّبَعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾ [الأنعام: ٥٠]. وقال: ﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ
بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي هَذَا
بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٣].
وقال: ﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تَلْقَائِي نَفْسِي إِنِ اتَّبَعُ إِلَّا
مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾
[يونس: ١٥]. وقال: ﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدَعَاٍ مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي
وَلَا بِكُمْ إِنِ اتَّبَعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [الأحقاف: ٩].

٤- النهي عن متابعة غير الوحي: كالنهي عن متابعة الشيطان، قال تعالى:

﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوتِ
الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [البقرة: ١٦٨]. وقال: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ
ءَامَنُوا أَدْخُلُوا فِي السَّلَامِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوتِ الشَّيْطَانِ
إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [البقرة: ٢٠٨]. والنهي عن متابعة الشهوات، قال
تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ
الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٢٧]. وقال: ﴿فَخَلَفَ مِنْ

بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا ﴿٥٩﴾
 [مريم: ٥٩]. والنهي عن التقليد المذموم قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا
 مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ
 ءَابَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ [البقرة: ١٧٠]. وقال: ﴿وَإِذَا
 قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا
 أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴾ [لقمان: ٢١].

وكل الأدلة الآمرة بالعبودية والخضوع والاستسلام لله يمكن الاستدلال بها
 لإثبات هذا الأمر؛ فالمشرع هو الله وحده، فأما الرسل فمبلغون عن الله، وإن
 أطلق عليهم اللفظ فهو من باب التجوز، والمجتهدون اعتبرت اجتهاداتهم
 بالكتاب والسنة، فهم موقعون عن الله، وكاشفون عن حكمه في
 المستجدات؛ بما أعطاهم من ملكة يعرفون من خلالها حكمه، فكلفهم
 بذلك، وهم بذلك ماضون على نهج رسوله؛ فلا حكم إلا لله ولا تشريع إلا
 له.

ما وظائف الرسول تجاه هذا المقرر الرباني؟

٨- وَإِنَّهُ مُعَلِّمٌ وَدَاعِيَةٌ تَالِ مَزَكٍ كُلِّ نَفْسٍ وَاعِيَةٌ

قال تعالى عن مهام الرسول -ﷺ-: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ

رَسُولًا مِّنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ

وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ [آل عمران: ١٦٤]. فهو معلم في المقام الأول، والمادة التي يعلمها ويدرسها للبشرية هي الوحي الذي مصدره الله، فقوله: (يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ) أي آيات الله وهو القرآن وسميت آيات الله؛ لأنها تدل عليه، وقوله: (وَيُزَكِّيهِمْ) أي يطهر نفوسهم عن الرذائل ويزينها بالفضائل من خلال هذا الوحي. وقوله: (وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ) أي القرآن والسنة، وبدونهما فالناس في ضلال مبين.

فقد ربّي خير جيل على خير منهج، ولا صلاح لهذه الأمة إلا أن تتربى على نفس المنهج وهو موجود، ومحفوظ بفضل الله، فما على الناس إلا أن يأخذوا به.

وقوله: (داعية) فهو داعية تنفيذاً لأمر الله؛ قال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨]. فهو داعٍ إلى هدى الله الذي عليه ضمان من الوقوع في الضلال والشقاء، بخلاف المناهج البشرية التي اخترعها أصحابها ولا ضمانة فيها من الوقوع في الضلال والشقاء الدنيا والآخرة.

ما هي أدوات تلقي الوحي في الإنسان؟

٩- وَوَعَيْهَا عَنْ قَلْبِهَا وَالْبَصَرَ وَسَمِعَهَا وَذَا لِكُلِّ الْبَشَرِ

قوله: (ووعيتها... البيت) إنما يتم تعلم الوحي - وغيره من أنواع العلم - في الإنسان عن طريق وسائل كسب العلم الثلاث السمع والبصر والقلب؛ قال

تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ

لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: ٧٨].

فالسمع والبصر بوابتان والقلب مستقر للمعلومة، وهذا متاح لكل أحد؛ فمن أغلق هذه البوابات أمام الوحي فهو هالك ومن أصحاب النار؛ قال

تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [الملك: ١٠].

وهو كذلك سبب الهلاك في الدنيا قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّا لَهُمْ فِي مَا

مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَرَ وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا

أَبْصَرُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا

كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [الأحقاف: ٢٦].

وَمِنْ عَدْلِ اللَّهِ أَنَّهُ مَنْ فَقَدَ هَذِهِ الْأَدْوَاتِ فَلَيْسَ بِمَكْلَفٍ، أَوْ فَقَدَ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ

مَعًا قَبْلَ أَنْ يَعْرِفَ التَّكْلِيفَ، أَوْ فَقَدَ الْعَقْلَ فَلَيْسَ بِمَكْلَفٍ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ

الجنة إن شاء الله.

ما هي أصول فقه الوحي وقبول السنة؟

١٠- سَبِيلُ فِقْهِ الْوَحْيِ وَالْقَبُولِ مُدَوَّنٌ فِي الْأَرْبَعِ الْأُصُولِ

أي الطريق إلى فقه الوحي فهماً سليماً وصحيحاً ومعرفة المقبول من وحي السنة هو عن طريق أربعة أصول وكل واحد منها تحته علوم متفرعة، وهي: أصول اللغة وأصول الحديث وأصول التفسير وأصول الفقه؛ فأما أصول اللغة فأهمها النحو والصرف والبلاغة والأدب.

وأما أصول الحديث فيدرس فيه الحديث دراية وراية وثمره الأول معرفة المقبول الذي يحتج به من المردود، وثمره الثاني معرفة المتن.

وأما أصول التفسير فلم يتطور إلا في العصر الحديث وهو مأخوذ من اللغة والأصول ومناهج المفسرين، وفيه يدرس مصادر تفسير القرآن، وقواعده، ومن هو المفسر، وشروطه، وما دوره، وضوابط تفسير القرآن...

وأما أصول الفقه وهو أهم الأربعة؛ فهو علم يتعلق بمصادر التشريع؛ ويتعلق بفهم النص وقبوله تعلقاً مباشراً؛ فأما فهمه فيعود إلى معرفة اللغة العربية التي نزل بها القرآن ومعرفة وقائع التنزيل، وأسباب الورد، ومقاصد الشريعة، وأما قبوله فيعود إلى معرفة الإسناد وأحوال الرواة وعلل الحديث

والجرح والتعديل... إلى غيره من شروط قبول الرواية التي تدرس في مصدر السنة من هذا العلم.

وهذا العلم كان مع الصحابة سليقة؛ لأنهم عاينوا نزول الوحي، والعربية لغتهم، فلما طال الزمان وكثر الخلاف في فهم الحديث والتفسير والفقه، وارتفع صوت الجدل، وانقسم العلماء إلى أهل رأي وحديث، وكثر الدَّخْلُ، احتاجَ الناس إلى تدوين هذا العلم الذي يضبط الفهم والقبول - ولكل عصر احتياجه - اختار الله أن يُفْتَحَ التدوين بالإمام الشافعي (ت ٢٠٤ هـ) وهو من العلماء العدول، والتابعين بإحسان لمنهـاج النبوة.

فعلم أصول الفقه علم مهم جدًّا، يضبط الفهم في التعامل مع الوحي، ويبين طريقة الاستنباط، ومنهج الاستدلال، وكيف تستخرج الأحكام، وما مصادرها، وبه تفسر النصوص، وَتُنَزَّلُ منازلها، وتنضبطُ الفهـوم والأفكار، وتستقيمُ الفتاوى، وتكون بعيدة عن التقليد والخلط والتناقضات في فهم الوحي.

ومن خلاله يُحدّد معايير المقبول من السنة من غير المقبول، وما يكون مصدرًا للتشريع وما ليس بمصدر منها.

وتحت هذا العلم علوم متعددة منها علم مقاصد الشريعة، وفقه المصلحة الشرعية، وفقه الموازنات، وفقه الأولويات، وفقه الاختلاف وفقه التراجيح، وفقه الفتوى، وأصول الاجتهاد، وأصول فقه النوازل، وتحت فقه النوازل فقه الواقعة والتكييف الفقهي، وفقه التنزيل.

وقد يسر الله لي أن أهتم بهذا العلم من الصغر فحذقته، ورأيت أن الجمود قد لحق بهذا العلم بشكل كبير، وخرج في كثير من موضوعاته عن قصده، وكثر فيه التنظير والجدل، وأدرج فيه علم الكلام والمنطق والتصوف.

فألّفت فيه متناً ونظماً وشرحاً؛ وأهمها (المنجد في شرح المرشد) فقد امتاز بسهولة العبارة، وتجديد الصياغة، وتجريد الأصول من القضايا الكلامية، والإكثار من الاستشهاد بالوحيين، ومن التمثيل منهما، ومن التطبيقات المعاصرة، والبعد عن المسائل التي لا طائل منها، أو لا ينبغي عليها عمل، وضمته فقه المقاصد والأولويات والموازنات والخلاف والفتوى والنوازل...

ما دور العلماء تجاه الوحي؟

١١- وَالْوَارِثُونَ مِنْهُمْ فَاَلْيَقْتَدُوا بِنَهْجِهِ وَغَيْرِهِمْ فَلْيُرْشِدُوا

١٢- وَيَسْأَلُونَ فِي صِرَاطِ اللَّهِ وَيُوقِظُونَ كُلَّ قَلْبٍ لَاهِي

١٣- وَيُلْحِقُونَ بِالنَّوَازِلِ الْهُدَى عِبْرَ الْقِيَاسِ، لِلْأَنَامِ مُقْتَدَى

أي والوارثون لهذا الوحي بعد النبي -ﷺ- هم العلماء؛ لأنهم حفظوه وفقهوه ودرسوه ودرسوا ما له صلة بالوحي من علوم فقه الوحي وقبوله؛ فعليهم أن يقتدوا بنهج النبي -ﷺ- في السير على منهج الوحي، وعليهم أن يُرشدوا غيرهم من الناس؛ فإنهم قائمون مقام النبوة.

والوارثون للنبوة حقيقة من صفاتهم كذلك أنهم يسلكون في صراط الله المستقيم؛ ولا يحدون عنه يمناً أو يسرةً، ويدعون الناس إلى هذا الصراط، ويوظفون القلوب اللاهية بوقع الوحي المؤثر على النفوس.

وصراط الله هو دين الإسلام وداخله سبل السلام وخارجه سبل الهلاك؛ قال

تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ

عَنْ سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّانِكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣]، فصراطه

المستقيم هو الإسلام والسبل التي تُبعد عن سبيله هي اليهودية والنصرانية

والمجوسية والهندوسية والبوذية... وكل الملل والمناهج غير الإسلام.

ويوجد داخل الإسلام سبل السلام؛ قال تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ

اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ

سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ

وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿ [المائدة: ١٥ - ١٦]. وقال تعالى:

﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [العنكبوت: ٦٩]،

فدل على أن هناك سبلاً داخل الإسلام، كلها توصل إلى طريق السلامة

والأمان، وهي المقصودة بالخيرات في قوله: ﴿ وَلِكُلِّ وِجْهَةٍ هُوَ مَوْلِيهَا فَاستَبِقُوا

الْخَيْرَاتِ ﴾ [البقرة: ١٤٨]، وفي قوله: ﴿ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ

اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ﴾

[المائدة: ٤٨]. وهي المقصودة بالصالحات في كل ما ورد بلفظ: ﴿ ءَامِنُوا

وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ ويدخل في ذلك تنوع القراءات فكل من انتهج قراءة

وتعلمها وعبَدَ اللهَ بها فهو على سبيل من سبل السلام ولا يضره ما جهله من

القراءات الأخرى، ومثله من سلك مذهباً فقهياً معتبراً وتعلَّمه وعبَدَ اللهَ به

فهو على سبيل من سبل السلام وإن كان قد لحقها ما لحقها من الأخطاء،

ومثله الحركات الإسلامية المعاصرة الداعية إلى الله وإلى إعادة الناس إلى

دين الإسلام والخلافة الإسلامية كل واحدة منها على سبيل من سبل

السلام، ويجب عليهم أن يتعاونوا جميعاً على البر والتقوى وأن يتجنبوا

جميعاً الإثم والعدوان، وأن يلتزموا بالضوابط الشرعية، وحقوق أخوة

الإسلام، وأن لا يطغى على هذه الحركات التعصب فتخرج عن الهدف

الذي أسست من أجله، وأن تَجِدَّ وتجتهد في خدمة الإسلام حتى يجمع الله المسلمين على خلافة واحدة لتقوم بالدور الذي تحملته هذه الحركات وعندها تتحد وتندمج ولا مبرر لبقائها بعد ذلك؛ لأنها وجدت عندما وقع الفراغ بسقوط الدولة العثمانية الجامعة لعقد المسلمين.

وهناك سبل للهلاك تَحْدُثُ من داخل المسلمين وهي الطرق التي تقوم على مصادر الانحراف الآتي ذكرها في الآيات (١٥، ١٦، ١٧).

ومن وظائف الوارثين للنبوة من العلماء أنهم يلحقون النوازل من المستجدات بالهدى- وهو اسم من أسماء الوحي- عن طريق القياس بما وهبهم الله من ملكة فقهية يكشفون بها عن حكم الله في الوقائع والنوازل؛ والقياس هو إعطاء المستجدات أحكامها عبر إلحاقها بأصولها من الوحي.

وعندما يسألهم الناس في دين الله إنما يسألونهم عن حكم الله حتى يعملوا به؛ لا يسألونهم عن آرائهم؛ فإن الله لم يكلف الناس بالعمل بآراء العلماء- ولا حتى رأي النبي -ﷺ- الشخصي؛ فإنه ليس بشرع فقد قال -ﷺ- في

مسألة تأبير النخل: «إنما أنا بشر، إذا أمرتكم بشيء من دينكم فخذوا به، وإذا أمرتكم بشيء من رأيي، فإنما أنا بشر». [م]. وكقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا

إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ﴾ [النساء: ١٠٥].

والرأي في الشرع مع الجهل طريق للضلال والإضلال، قال -ﷺ-: «فيبقى ناس جهال، يستفتون فيفتون برأيهم، فيضلون ويضلون» [خ].
وقد فصَّلتُ -بفضل الله- في كتابي المنجد ما هو مصدر من التشريع من السنة وما ليس بمصدر فارجع إليه -.

فإذا سئل العالم المجتهد وجب عليه أن يفتي بما يدين الله به أنه حكم الله، وبما يعلم أنه شرع الله؛ فإن أصاب حكم الله حقيقة فهو مأجور، وإن أخطأه فهو مأجور؛ وهو الحكم الشرعي في حقه وحق من يستفتيه، وليس له بحال من الأحوال أن يحكم بغير اجتهاده الذي أراه الله من الوحي، ولا يحتج عليه بمذهب مثله من المجتهدين؛ وذلك أنه إذا اختلف علماء المسلمين لم يكن عمل بعضهم حجة على بعض؛ هذا إن كان عالماً متأهلاً متحصلاً على أدوات الاجتهاد وشروطه ورعاً تقيّاً؛ أما من تصدر لهذا المقام (الفتيا، والنظر في المستجدات) وهو دون ذلك فيأثم مطلقاً أصاب حكم الله أو أخطأه.

والأفضل الآن أن يتم عبر مؤسسات جماعية للفتوى حتى نخرج من سلبيات الاجتهاد الفردي.

قوله: (لِلْأَنَامِ مُقْتَدَى) أي هم قدوة الناس بعد الرسل في دين الله.

ما دور الحكام تجاه الوحي؟

١٤- وَأَحَاكِمُونَ الْمُهْتَدُونَ يُلْزَمُونَ شُعُوبَهُمْ شَرِيعَةً يُطَبِّقُونَ

والحكام المهتدون هم الذين يحكمون شعوبهم بالوحي، ويطبقون شريعة الله عز وجل في الرعية التي استرعاهم الله، ويلزمون شعوبهم بما فيهم العلماء بالسير على منهج النبوة، ويسخرون الدولة بكل إمكاناتها لهذا الهدف الرباني، الذي فيه سعادة الدولة والشعب في الدنيا والآخرة، ويكفي هؤلاء أنهم أول السبعة الذين يظلمهم الله بظلمه يوم لا ظل إلا ظله.

وعكس الحكام المهتدين الضلال وهم الذين لا يهتمون بالوحي، ولا يسخرون إمكانات الدولة لخدمة الوحي من الكتاب والسنة، وأساء منه لو كانوا محاربين للوحي؛ ويسعون في إغلاق دور القرآن والسنة؛ ويقتلون أئمة المساجد والعلماء أو يسجنونهم؛ فهؤلاء يبوؤون بخزي الدنيا وعذاب الآخرة، وما هم بمعجزين، والله من ورائهم محيط، والله عزيز ذو انتقام، وإلى الله مصيرهم فأين يفرون منه؟ وعندما يسألهم وهم فرادى لا يقدرين على شيء، أكنتم تحاربون وحيي وديني وحملتته. فبم يجيبون؟ واحسرتاه! وأسفاه على مثل هؤلاء! ففي مثلهم يقول النبي -ﷺ-: «سَيَكُونُ بَعْدِي أَمْرَاءُ؟ فَمَنْ دَخَلَ عَلَيْهِمْ فَصَدَّقْتَهُمْ بِكَذِبِهِمْ وَأَعَانَهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ فَلَيْسَ مِنِّي وَلَسْتُ مِنْهُ وَلَيْسَ بِوَارِدٍ عَلَيَّ الْحَوْضُ، وَمَنْ لَمْ يَدْخُلْ عَلَيْهِمْ وَلَمْ يُعْنِهِمْ

عَلَى ظُلْمِهِمْ وَلَمْ يُصَدِّقْهُمْ بِكَذِبِهِمْ فَهُوَ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ وَهُوَ وَارِدٌ عَلَيَّ
 الْحَوْضُ» [صحيح: رواه أحمد، والترمذي، وابن حبان وغيرهم]. وقال - صلى الله عليه وسلم -: «إِنَّ
 أَخَوْفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الْأَيِّمَةُ الْمُضِلُّونَ» [صحيح: رواه أحمد، وابن حبان،
 وغيرهما].

ما هي مصادر الانحراف عن منهج النبوة؟

١٥- وَلَيْسَ مِنْ مَّصَادِرِ الْأَحْكَامِ عَقْلٌ وَكَشْفٌ أَوْ رُؤْيُ الْمَنَامِ

١٦- أَوْ رَأْيُ شَخْصٍ وَاتِّبَاعُ لِلْهَوَى وَالشَّهَوَاتِ وَاتِّبَاعُ مَنْ غَوَى

١٧- وَعُدَّهَا مَّصَادِرَ الْمُنْحَرَفِ مِنْ سَلَفٍ يَكُونُ أَوْ مِنْ خَلْفٍ

المصدر هو ما يؤخذ منه الأحكام، وسبق معنا أن الوحي هو المصدر
 الوحيد لأي مصدر تشريعي تبعي معتبر وأهمها القياس الشرعي وقد سبق
 معنا.

وهناك مصادر للانحراف، فمن اعتمد عليها في التشريع فهو منحرف عن
 الصراط المستقيم؛ منها:

الأول: العقل: وهو آلة الفهم والإدراك، وتميز الموجودات، وحامل

الأمانة، ومحل فهم الخطاب، ومناط التكليف؛ إذ هو الوسيلة الوحيدة لفهم

التشريع، وهو أشرف صفات الإنسان.

والمصدر ما تؤخذ منه الأحكام؛ فمن الخلط جعل الوسيلة غايةً ومصدرًا يُستمد منه؛ ولو كان الأمر كذلك فكل إنسان لديه عقل فبمجرد ذلك هو مشرّع، وهذا من الخلط نسأل الله السلامة.

وقد انفرد بجعله مصدرًا المعتزلةُ والشيعةُ الإمامية والزيدية والظاهرية، وانفردوا بقولهم: "إن العقل يرتب الثواب والعقاب على الحسن والقبح". وهذا الانفراد جعلهم ينحرفون بالعقل عن مساره الصحيح الذي يجب أن يوضع فيه، ونشأ عن ذلك شطحات فكرية كبيرة صادت العقيدة وخالفت الشريعة، حتى أوجد ذلك نَفْرَةً في القلوب من منهج المعتزلة من جهة، ومن منهج الشيعة من جهة أخرى، ومن اجتهادات الظاهرية من جهة ثالثة... والعقل في الإسلام يحسن ويقبح، والثواب والعقاب ثابتان بالشرع لا بالعقل، والعقل لا يهتدي إلى تفاصيل النافع والضار إلا بالوحي؛ لذلك كم رأينا من أدعياء العلم الحديث يُهلكون أنفسهم وما يشعرون، بسن تشريعات أدت إلى الفساد الفردي والأسري والاجتماعي والدولي، فلا يوجد في الواقع تعارض بين صريح العقل وصحيح الوحي؛ لأن مصدرهما واحد وهو الله؛ فهو الذي خلق العقل وأنزل الوحي، وهو عالم السر والغيب والشهادة سبحانه؛ فقد جعل للعقل قيمة كبيرة، فذكره في كتابه بلفظ العقل

ومشتقاته (٤٩) مرة، وبلفظ أولي الألباب (١٦) مرة وبلفظ أولي النهي مرة وبلفظ الحجر مرة، وهو مضمن مع الفؤاد والقلب، وشَنَّعَ على الذين لا يستخدمون عقولهم، وأنه من أكبر أسباب دخول النار ومن أسباب الانجراف وراء الشيطان والشهوات والشبهات والوقوع في الضلال، وذمَّ الجهل وأهله، وأشاد بأولي الألباب وأنهم هم الذين يهتدون بما أنزله، ويتعظون بما شرعه، ويتفكرون فيما خلقه وأبدعه.

وقد اهتم الله بتنمية العقل؛ فأول أمر أنزله في كتابه هو (اقرأ)؛ وذلك أن القراءة هي أكبر وسيلة لتنمية العقل بالعلم، وشرع من الأحكام ما جعله من الكليات الست الكبرى التي جاء الشرع لحفظها من جهة الوجود والبقاء والعدم، وهي حفظ الدين والنفس والعقل والنسل والعرض والمال.

وقد جعل الله للعقل وظائف جليلة لو استخدمه فيها لكان في الأرض خليفة على منهج الله؛ فمن هذه الوظائف، الآتي:

١- فهم الوحي من الكتاب والسنة.

٢- اكتساب العلم، والحفظ بواسطته؛ لهذا جعل الله مقام العلماء عالياً، ومنزلتهم رفيعة؛ لأنهم أعملوا عقولهم في الوحي اهتداءً وحفظاً وتفقهاً

وتطبيقًا، وذمَّ الجهلَ وأنه سبب الكفر والتكذيب والصد عن دين الله، وإفساد الأرض بعد إصلاحها؛ لأن الجهلة عطلوا عقولهم.

٣- أنه وسيلة إعمال المصادر التبعية العقلية للتشريع وهي القياس والمصالح المرسلة وسد الذرائع والاستصحاب، فالعقل هو الوسيلة لفهم النوازل والمستجدات وإحاقها بالوحي وهذا يكون لمن قد ورث الوحي وعرفه، وهي عقول علماء الشريعة، وهو الوسيلة في معرفة المصالح المرسلة، ورتبتها من جهة كونها ضرورية أو حاجية أو تحسينية، ويكشف عن حكمها المسبق في الشرع؛ وهذا لا يعرفه أي عقل ولكن عقول العلماء العالمين بالشرع وبالوضع.

والعقل كذلك هو الوسيلة التي يُمَيِّزُ بها المصلحة الشرعية والمفسدة الشرعية، فيفتَحُ الذرائع والوسائل أمام الأولى، ويغلق الذرائع أمام الثانية، بل ويُقَدِّرُ الوسائل للمصالح الضرورية والحاجية والتحسينية.

وهو كذلك الذي يميز ما كان ثابتًا ويحكم له بالوجود، وبين ما كان منفيًا ويحكم له بالعدم في باب الاستصحاب.

٤- التدبر في الآيات القرآنية والسنة النبوية؛ لمعرفة مرامي الوحي، وأبعاده، ومقاصده، ومبادئه العامة، والخاصة.

٥- التفكير في المخلوقات، من خلق السماوات والأرض وما بث فيهما من دابة، وفي الليل والنهار واختلافهما... إلخ من الآيات الكونية، ليهتدي من خلال ذلك إلى بديع خلق الله، وإلى ما سخره الله له في الأرض والسماوات، وعليه أن ينتفع ما استطاع بما سخر له، وأن يستخدمه في إصلاح الأرض لا في إفسادها.

٦- الإبداع والاختراع في مجال الخدمات والتقنيات والعلوم التطبيقية، والتجريبية، بما يخدم البشرية، ويسد احتياجاتها الضرورية والحاجية والتحسينية.

٧- التسليم للغيب الذي جاء به الوحي، كالإيمان بالله وملائكته واليوم الآخر وكل ما غاب عنا كالجن والشياطين والجنة والنار... ودور العقل هو الإيمان الجازم والتصديق القطعي.

٨- كل ما كان توقيفياً من الشريعة وجب الوقوف عنده بلا خوض ولا اجتهداد، وكل ما كان معللاً وجب إعمال العقل فيه من قبل العلماء المجتهدين لمعرفة علله ليقاس عليها، وتفصيل ذلك في أصول الفقه.

الثاني: الكشف؛ ويقصد به مَنْ يعتمد عليه: الاطلاع على ما وراء الحجاب من المعاني الغيبية، والأمور الحقيقية وجوداً أو شهوداً.

ويعتمد عليه الصوفية ويجعلونه مصدرًا وثيقًا للعلوم والمعارف، بل تحقيق غاية العبادة، ويدخل تحت الكشف الصوفي جملةً من الأمور الشرعية والكونية منها:

- ١- النبي ﷺ -: ويقصدون به الأخذ عنه يقظةً أو منامًا.
 - ٢- الخضر عليه الصلاة والسلام: وقد كثرت حكايتهم عن لقياءه، والأخذ عنه أحكامًا شرعية وعلومًا دينية، وكذلك الأوراد، والأذكار والمناقب.
 - ٣- الهواتف: من سماع الخطاب من الله تعالى، أو من الملائكة، أو الجن الصالح، أو من أحد الأولياء، أو الخضر، أو إبليس، سواء كان منامًا أو يقظةً أو في حالة بينهما بواسطة الأذن.
 - ٤- الإسراءات والمعاريج: ويقصدون بها عروج روح الولي إلى العالم العلوي، وجولانها هناك، والإتيان منه بشتى العلوم والأسرار.
 - ٥- الكشف الحسي: وهو الكشف عن حقائق الوجود بارتفاع الحجب الحسية عن عين القلب وعين البصر.
- وجل من يعتمدون عليه إنما هم أولياء الشيطان، ويدعون أنهم أولياء الرحمن، تكاشفهم الشياطين وتقول لهم: نحن ملائكة أو جن صالحون

وأنتم أولياء ونحن مسخرون في خدمتكم، وهذا من كرامات الأولياء،
فكراماتكم تحت طلبكم.

وكانوا ولا زالوا يكاشفون الشياطين بطقوس شركية يدعون أنها من علم
الباطن، ويدخلون على أتباعهم من باب قصة الخضر مع موسى، وأن
للشريعة ظاهراً كعلم موسى وباطناً كعلم الخضر، وأن أحكام الظاهر
تختلف عن أحكام الباطن؛ فتجدهم يقارفون الفواحش والموبقات تحت
ذريعة أنها جائزة في علم الباطن فالخضر خرق السفينة وقتل وهدم جدار
اليتيمين. وهذا كله من تلبس الشيطان على أوليائه، وفرق كبير بين أولياء
الرحمن وأولياء الشيطان، وقليل من يفرق بينهما.

الثالث: رؤى المناهر: الرؤى: جمع رؤياً وهي ما يراه الإنسان في منامه.

وهي مصدرٌ تلقى عند بعض الصوفية، وهذا المصدر عندهم لا يتطرق إليه
شك؛ بل هو من الأمور اليقينية، والعقائد الراسخة، وقد بنوا عليه كثيراً من
عقائدهم الباطلة، وهو مصدر مدرٌّ لا ينقطع.

وكثير ممن كتب منهم في تراجم الصوفية ذكروا في تراجمهم أنهم رأوا الله،
ورأوا الرسول -ﷺ- وأمرهم بكذا أو نهاهم عن كذا، وهذا أمر لا ينكره
أحد منهم.

ونجمل خلاصة القول في الرؤى المنامية كالآتي:

١- أن الرؤيا ليست مصدرًا للتلقي والتشريع لما يلي:

أ- أن الرؤى منقسمة إلى رحماني ونفساني وشيطاني، والتميز بينها مشكل.

ب- يلزم من القول بحجية الرؤى تجديد الوحي بعد النبي -ﷺ- وهذا باطل.

ت- ويلزم منه أن الدين لم يكتمل؛ لأن الرؤيا بمثابة الأدلة الأصلية وتشريع لا محدود، ولهذا أضافوا بواسطته كثيرًا من العبادات التوقيفية، مما كان مدخلًا كبيرًا من مداخل البدعة. فهي ليست كالمصادر الاجتهادية التبعية التي يعمل بها كأدلة تبعية كاشفة لما في الكتاب السنة.

ث- أن النائم ليس من أهل الضبط والتحمل للرواية.

٢- الرؤى عند المعتزلة والفلاسفة كلها خيالات باطلة، وإنها بسبب الأخلاط، وهو خلاف ما دلت عليه النصوص.

٣- الرؤى عند المحققين عبارة عن أمثال مضروبة للرأي، وقد جاء في كتاب الله الحكيم آيات كثيرة تبين حقيقة الرؤى، وأنها بالنسبة للأنبياء وحي، بل إن الله جعل معجزة نبيه يوسف عليه السلام تأويل الرؤيا.

وجاء عن النبي ﷺ -أحاديث كثيرة في شأن الرؤى سواء في رؤيته لربه عز وجل في المنام، أو بيان أن رؤيا الأنبياء وحي، وبيانه أن رؤيا المؤمن جزء من أجزاء النبوة، أو ذكره للآداب، وسؤال أصحابه عن الرؤيا كثيراً وتفسيره لكثير من رؤى أصحابه، وكثرة الرؤى التي رآها- ﷺ -وهي من المبشرات. وأن علماء الحديث اهتموا بتلك الأحاديث فصنفوا لها الكتب والأبواب، ووضعوا العناوين للأبواب التي تبين أحكام الرؤى وحقيقتها وعلاقتها بالنبوة.

وأن الرؤى لها أهمية في حياة الناس، لكثرة وقوعها، وانشغال بعضهم بها بين غلو وجفاء وإفراط وتفريط، وكيف أن بعض المغرضين يستغلون اهتمام الناس بالرؤى- لكون صدقها من أشراط الساعة الصغرى- فينشرون باطلهم من هذا المجال.

الرابع: اتباع الأشخاص: سبق معنا أن الحججة في الوحي وأن الآراء الشخصية ليست بحجة، ولا من مصادر التشريع حتى من النبي ﷺ؛ فضلاً عن غيره فقد قال- ﷺ -في مسألة تأبير النخل: «إنما أنا بشر، إذا أمرتكم بشيء من دينكم فخذوا به، وإذا أمرتكم بشيء من رأيي، فإنما أنا بشر». [م]. وقد سبق تفصيل ذلك.

وأما العلماء فقد ذكرنا أنهم إنما يسألهم الذين لا يعلمون حكم الله عن حكم الله حتى يعملوا به، ويجب عليهم أن يفتوا بما يدينون الله به أنه حكم الله، وبما يعلمون أنه شرع الله؛ حتى في النوازل فإنهم القادرون عن الكشف عن حكم الله فيها بما أعطاهم من الملكة الفقهية التي تمكنهم من معرفة حكم الله في أي نازلة وواقعة، وقد يختلف المجتهدون والحكّم هو الوحي من الكتاب والسنة.

وبناء عليه لا أحد من العلماء قوله حجة بل عدّ من مصادر الانحراف اتباع الأشخاص مطلقاً في خطأهم وصوابهم، وأعظم منه أن يرفع قول الأشخاص وعملهم إلى درجة السنة؛ وقد وقع الكثير من المسلمين من أهل السنة قبل غيرهم في هذا الانحراف؛ حيث احتج أهل السنة بأقوال الأشخاص وأعمالهم من حيث لا يشعرون، فالسلفية جعلوا أعمال السلف وأقوالهم حجة؛ وهي ليست بحجة، وجعلوها سنة؛ وهي ليست بسنة، وإنما السنة هي أقوال النبي -ﷺ- وأفعاله وتقريراته لا أعمال السلف ولا أقوالهم، والسني عندهم من يحتج بمذهب السلف، والسني في الشرع من يسير على سنة النبي -ﷺ-.

والمتمذهبة احتجوا بأقوال وأعمال أئمة المذاهب في التحليل والتحرير، ونزلوها منزلة الوحي المعصوم، وإن لم يتفوهوا بهذا، فلحن استدلالهم

وفحوى احتجاجهم هو أقوال وأعمال الأشخاص حتى انتسبوا إليهم في التحليل والتحريم يحلون ما أحله المذهب ويحرمون ما حرمه، مع أن جميع المذاهب فيها حق وباطل، وأما الفقهية منها ففيها صواب وخطأ وكثير منها من المتغير الذي يتغير بتغير موجبات تغير الفتوى كالمكان والزمان والأحوال والأشخاص والمقاصد وتطور العلم... ونحو ذلك.

وأصحاب الكلام من الماتريديّة جعلوا السني من يتبع طريقتهم، وأهل السنة عندهم هم أتباع أبي منصور الماتريدي. والسنة - كما علمت - هي أقوال النبي - ﷺ - وأفعاله وتقريراته، لا أعمال الماتريدي ولا أقواله.

والأشاعرة، جعلوا السني من يتبع طريقتهم، وأهل السنة عندهم هم أتباع الأشعري. والسنة - كما علمت - هي أقوال النبي - ﷺ - وأفعاله وتقريراته، لا أعمال الأشعري ولا أقواله.

ومنهم - كبعض السلفية - من حصر السني في أتباع أربعة أشخاص أحمد بن حنبل وابن تيمية وتلميذه ابن القيم ومحمد بن عبد الوهاب النجدي، وأهل السنة عندهم هم أتباعهم؛ ويحتجون بأقوالهم... وتماذى الأمر بهؤلاء حتى تشظوا في الوقت الحاضر إلى فرق كل فرقة تنتسب إلى شيخ المركز الذي يتعصبون له ويعتقدون أنه مصدر السنة ومخالفه من المبتدعة، والسنة - كما

علمت- هي أقوال النبي -ﷺ- وأفعاله وتقريراته، لا أعمال هؤلاء ولا أقوالهم.

والطُّرُقِيَّةُ من أهل التصوف جعلوا شيخ الطريقة الحجة، والمسلك الوحيد الذي يوصل إلى الله، فتَشَطَّتْ إلى طرق كثيرة يصعب حصرها، وكل طريقة تسمى باسم شيخ الطريقة، ووصل بهم الانحراف إلى الشرك الصريح كالسحر والشعوذة والاعتقاد في المقبورين... وبدع متعددة، وهكذا شأن متبعي الأشخاص.

والمعتزلة قدموا عقولَ أشخاصٍ على الوحي، واتبعوها فضلوا وأضلوا كثيراً، وتفرقوا إلى فرق متعددة، كل فرق تنتسب إلى الشخص الذي تتبعه. فضلاً عن الشيعة بفرقهم المتعددة الذين حسموا المسألة وصرحوا بأنهم يتبعون أئمة معصومين، وكل فرقة منهم لها إمام أو أئمة، يحتجون بهم، ويعتقدون فيهم العصمة، وغالوا في الهاشميين وسلالتهم غلواً شديداً وهم أحياء، وأشركوا عند قبورهم وهم أموات، فلم تُعَبَدْ أسرة من دون الله كما عُبد الهاشميون من قبل الشيعة والصوفية ومن العوام الذين انحرفوا بسببهم.

وكل هذا انحراف خطير وقعت فيه هذه الأمة بنسب متفاوتة؛ بسبب جعل الأشخاص حجة في الاحتجاج والاستدلال والعمل والاعتقاد، ولا بد أن تعود الأمور إلى نصابها من اتباع الوحي، مهما طال هذا الانحراف أو قصر. **الخامس: اتباع الأهواء:** هوى النفس هو ميولها تبعاً لحظوظها مقابل الحق وهو مصدر عظيم من مصادر الانحراف.

والمَقْصِدُ الشَّرْعِيُّ مِنْ وَضْعِ الشَّرِيعَةِ الرِّبَانِيَّةِ هِيَ إِخْرَاجُ الْمُكَلَّفِ عَنِ دَاعِيَةِ هَوَاهُ، وَأَنْ يَقْتَفِيَ وَحْيَ اللَّهِ.

ونسرد بعض الآيات الشاهدة على ذلك من دون تعليق لوضوحها:

١- ترتيبه على ترك الهوى مع الخوف من الله الجنة، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ

مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٤٠، ٤١].

٢- مثل من اتبع الهوى بأسوأ مثل في القرآن، قال عز وجل: ﴿وَلَا كِنَّهُ وَاخْلَدَ

إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوْنَهُ فَكَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ

يَلْهَثَ أَوْ تَتْرُكُهُ يَلْهَثُ﴾ [الأعراف: ١٧٦].

٣- النهي عن متابعة الذين يتبعون الأهواء، قال تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ

عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوْنَهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨].

٤- جَعَلَ اتِّبَاعَ الْهَوَى بِمِثَابَةِ الْإِلَهِ الْمَعْبُودِ مِنْ دُونِ اللَّهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنْ

أَتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الجاثية: ٢٣].

٥- أَخْبَرَ أَنَّ كُلَّ ظُلْمٍ يَحْدُثُ فَهُوَ بِسَبَبِ اتِّبَاعِ الْأَهْوَاءِ، وَأَنَّهُمْ ضَلَالٌ، قَالَ تَعَالَى:

﴿بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ [الروم: ٢٩].

٦- جَعَلَ اتِّبَاعَ الْهَوَى مَنَاقِضًا لِاتِّبَاعِ الْوَحْيِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّنْ

رَبِّهِ كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ [محمد: ١٤].

٧- سَبَبٌ لِحِرْمَانِ الْعِلْمِ وَالْوُقُوعِ فِي النِّفَاقِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ لَيْسَ تَسْمَعُ

إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ [سورة محمد: ١٦].

٨- سَبَبٌ لِّضَلَالِ مَعْظَمِ النَّاسِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا لِّيُضِلُّونَ بِأَهْوَاءِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ

إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ﴾ [الأنعام: ١١٩].

٩- التَّهْدِيدُ وَالْوَعِيدُ لِمَنْ يَتَّبِعُ أَهْوَاءَ الْمُخَالَفِينَ لِلْوَحْيِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَئِنْ

اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاوٍيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة: ١٢٠]. وَقَالَ: ﴿وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِّنْ بَعْدِ مَا

جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٥﴾ [البقرة: ١٤٥]. وقال:
﴿وَلَيْنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ
وَلَا وَاقٍ﴾ [الرعد: ٣٧].

١٠- النهي الصريح عن اتباع الهوى، قال تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ

مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمَنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨]. وقال:

﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَأَحْذَرَهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾

[المائدة: ٤٩]. وقال: ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ

لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٠]. وقال:

﴿فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ

ءَامَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ﴾ [الشورى: ١٥]. وقال: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ

عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾

[سورة الجاثية: ١٨]. وقال: ﴿فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىَّ أَنْ تَعْدِلُوا﴾ [النساء: ١٣٥]. وقال:

﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىَّ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [ص: ٢٦]. إلى غير ذلك من الآيات

والأحاديث الناهية نهياً صريحاً عن اتباع الهوى.

السادس: اتباع الشهوات: أي اتباع ملذات النفس المحرمة من شهوة

الفرج أو البطن أو التسلط أو التملك أو الانتقام...، وهي مصدر كبير من

مصادر الميول عن الحق والانحراف؛ قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٢٧]. وقال: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا﴾ [مريم: ٥٩].

ولا يخفى أن الانسياق وراء الأمزجة والشهوات، واتخاذها معيارًا للأفعال والتصرفات، أو مرجعًا للأحكام والتشريعات، قد أفضى ويفضي إلى مفسد وانحرافات لا حدود لها، سواء على مستوى الأفراد أو المجتمعات. فشيوع الزنا واللواط، والربا والسحت، والإسراف والتبذير، والاستبداد والظلم، والغصب والقتل، والخمر والمخدرات، والإفراط في اللهو واللعب، والنوم والكسل... كل ذلك إنما هو شريعة الأهواء والشهوات ﴿وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ﴾ [المؤمنون: ٧١]. فطريق الأهواء والشهوات في غالب أمره طريق إلى الفساد وسوء العاقبة في الدنيا والآخرة.

السابع: اتباع الغاوين؛ وأولهم الشيطان قال تعالى حاكياً عن الشيطان:

﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الحجر: ٣٩]. ونهانا الله عن متابعتة لأنه ضال منحرف قال تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [البقرة: ١٦٨]. وسبب الغواية

الكبر والتكذيب والغفلة، وهؤلاء لا يوفقههم الله إلى الرشاد بل هم مصروفون عنه؛ قال تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلاًّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَكْرُوا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٦]، وأخبرنا الله بأن أهل الغواية يمد كل واحد منهم الآخر بالغواية؛ قال تعالى: ﴿وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٢]، ويُصبر بعضهم بعضاً على الغواية؛ قال تعالى: ﴿وَأَنْطَلِقَ الْأُمَمُ مِنْهُمْ أَنْ أَمْشُوا وَأَصْبِرُوا عَلَىٰ آهَاتِهِمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ﴾ [ص: ٦]، ويتهمون أهل الحق بالضلال؛ قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِذْ يَنْخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾ إِنْ كَادَ لَيُضِلَّنَا عَنْ آهَاتِنَا لَوْلَا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينُ يَرُونَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٤١ - ٤٢]، وبين أن متابعة الغاوين مصيرها النار فقال: ﴿فَأَعْوَيْنَكُمْ إِنْ آتَيْنَا بِكُمْ آيَاتِنَا فَتَبَرُّوا وَتَتَّبِعُوا وَتَتَّبِعُوا وَتَتَّبِعُوا﴾ [الصافات: ٣٢، ٣٣]. ويتبرؤون منهم: ﴿قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ﴾ [القصص: ٦٣].

وأمرنا بمتابعة نبيه؛ لأنه لم يلحقه ضلال ولا غواية؛ قال تعالى: ﴿مَا ضَلَّ

صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى﴾ [النجم: ٢].

فهذا المصادر السبعة للانحراف هي وراء كل انحراف وقع في هذه الأمة من زمن الصحابة وإلى الآن وإلى أن تقوم الساعة.

**هل لزوم مذهب معين يحقق السير على منهج النبوة؟
ولماذا؟**

١٨- وَهَلْ لُزُومُ مَذْهَبٍ يُحَقِّقُ نَهْجَ النَّبِيِّ، قَوْلُ (لَا) بِهِ انْطِقُوا

١٩- فَتَنْهَجُهُ قَدْ رَادَفَ الْإِسْلَامًا وَمَذْهَبٌ بَعْكُسٍ هَذَا قَامَا

٢٠- فَنَاقِصٌ مُفَرَّقٌ مِنَ الْبَشَرِ وَخَطَأٌ يَلْزِمُهُ عُسْرُ ضَرَرِ

هل لزوم مذهب يحقق منهج النبوة؟ الإجابة (لا) وذلك أن منهج النبوة هو

الإسلام كله ويرادف لفظ الإسلام ومن خصائصه كما سبق أنه يجمع ولا

يفرق، وشامل لكل المجالات، وكامل ليس بناقص، وعالمي للجن

والإنس وليس مقصوراً على فئة، وخالد للأبد وليس لمرحلة دون مرحلة

أو لفترة دون أخرى، ووسطي لا غلو فيه ولا جفاء، ونافع لا مضرة فيه،

ويسر لا عسر فيه، ومعجز يعلو ولا يُعلى عليه، ومنذر بالنار لمن خالفه

ومبشر بالجنة لمن أطاعه.

أما المذاهب ولو كانت إسلامية فهي قائمة بعكس ذلك فهي تفرق أكثر من أن تجمع، ولا تشتمل على كل مجالات الحياة، تركز على جهة دون جهة، وليست صالحة للأبد، بل تتغير بتغير موجباتها، وناقصة وليست بكاملة؛ لأنها نتاج بشري، وتفتقد الوسطية والتوازن فتغلو في الباب الذي غالى فيه المؤسس والمنظر في المذهب وتجفو فيما جفا فيه، ولا تخلو من المفساد، ويلحقها التعسير فيما قد وسعه الشرع، وهي ليست بمعجزة؛ لأنها نتاج بشري، ولا تنذر من خالفها بنار ولا تبشر من أطاعها بجنة، فيسع التنقل فيها بلا حرج بخلاف منهج النبوة.

مصدر المهتدي هو الوحي؛

٢١- فَأَلُوْحِي حَصْرًا مَصْدَرٌ لِلْمُهْتَدِي مِنْ آخِرِ الزَّمَانِ أَوْ مِنْ مُبْتَدِي

أي مصدر المهتدي هو الوحي حصراً وقصراً فما اعتبره الوحي فهو مصدره وما لم يعتمد الوحي طرحه.

وهذا الوحي هو مصدر الهداية من بداية زمان الوجود في الأرض منذ أن

أنزل آدم وزجته مع إبليس قال لهم: ﴿قُلْنَا أَهْبُطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ

مِّنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٣٨].

وهو كذلك مصدر للهداية إلى آخر الزمان من بدء رسالة محمد - ﷺ - إلى أن تقوم الساعة.

منهاج النبوة عليه المؤمنون المتقون وهم الناجون والمرحومون؛

٢٢- أُمَّتُهُ نَاجِيَةٌ مَرْحُومَةٌ وَفِي الدُّنْيَا مَفْتُونَةٌ مَكْلُومَةٌ
 أي أن المستجيبين للنبي - ﷺ - وهم المسلمون جميعًا هم أمته، وهم مبشرون جميعًا بالجنة حيث قال - ﷺ -: (أُمَّتِي هَذِهِ أُمَّةٌ مَرْحُومَةٌ، لَيْسَ عَلَيْهَا عَذَابٌ فِي الآخِرَةِ، عَذَابُهَا فِي الدُّنْيَا الْفِتْنُ، وَالزَّلَازِلُ، وَالْقَتْلُ) [صحيح: أحمد، وأبو داود، والحاكم].

فَأُمَّتُهُ مَنْ كَانَتْ عَلَى دِينِهِ الَّذِي بَعَثَ بِهِ وَهُوَ الْإِسْلَامُ، وَأَمَا مَا رُوِيَ أَنَّ كُلَّهَا فِي النَّارِ إِلَّا فِرْقَةً وَاحِدَةً فَكُلُّهَا رَوَايَاتٌ ضَعِيفَةٌ لَا يَسْتَدِلُّ بِهَا فِي نَوَاقِضِ الْوَضُوءِ فَضْلًا عَنْ أَمْرٍ خَطِيرٍ كَهَذَا.

ولا يوجد شيء اسمه الفرقة الناجية وغيرها من المسلمين ليس بناج؛ بل

كل المسلمين ناجون إن ماتوا على الإيمان والتقوى؛ قال تعالى: ﴿وَنَجِّنَا

الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ [فصلت: ١٨]، وقال تعالى: ﴿وَإِنْ مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا

كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا

جَحِيمًا ﴿٧٢﴾ [مريم: ٧١، ٧٢]، وقال تعالى: ﴿وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ

لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿ [الزمر: ٦١]. فالأحاديث التي أخذ منها مصطلح الفرقة الناجية ضعيفة، وهذه الآيات هي الحاسمة في الموضوع؛ فكل مسلم على الإسلام الذي جاء به محمد - ﷺ - وهو من أهل التقوى وسلم من الشرك ومات على ذلك فهو ناج بإذن الله.

ومن الأدلة كذلك أن جميع هذه الأمة في الجنة قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿ [فاطر: ٣٢ - ٣٣]. فالشاهد قوله: (جَنَّتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا) عائد على كل الأصناف الثلاثة (الظالم لنفسه والمقتصد والسابق بالخيرات) من هذه الأمة؛ فكلهم في الجنة.

تم يوم الثلاثاء ١٧/ صفر/ ١٤٤٤هـ الموافق ١٣/٩/٢٠٢٢م

مدينة الفيضت

المحتويات

- ٦..... ما هو المنهاج المقرر الذي أنزله الله على رسوله؟
- ٩..... ما هي خصائص هذا المنهاج المقرر؟
- ٩..... ١. أنه جامع:
- ١٠..... ٢. شامل:
- ١١..... ٣. عالمي:
- ١١..... ٤. خالد:
- ١٢..... ٥. كامل:
- ١٢..... ٦. وسطي:
- ١٤..... ٧. نافع:
- ١٥..... ٨. مُيسّر:
- ١٦..... ٩. معجز:
- ١٦..... ١٠. ومنذر مبشر:
- ١٦..... ١١. وإنه شريعة:
- ١٦..... ١٢. مهيمنة:
- ١٧..... ١٣. من ربنا:
- ١٧..... ١٤. محفوظة:

- ١٥ مبينة: ١٨
- كيف بيّن الله دينه؟ ١٩
- ما وظائف الرسول تجاه هذا المقرر الرباني؟ ٢٤
- ما هي أدوات تلقي الوحي في الإنسان؟ ٢٦
- ما هي أصول فقه الوحي وقبول السنة؟ ٢٧
- ما دور العلماء تجاه الوحي؟ ٢٩
- ما دور الحكام تجاه الوحي؟ ٣٤
- ما هي مصادر الانحراف عن منهاج النبوة؟ ٣٥
- الأول: العقل: ٣٥
- الثاني: الكشف؛ ٣٩
- الثالث: رؤى المنام: ٤١
- الرابع: اتباع الأشخاص: ٤٣
- الخامس: اتباع الأهواء: ٤٧
- السادس: اتباع الشهوات: ٤٩
- السابع: اتباع الغاوين: ٥٠
- هل لزوم مذهب معين يحقق السير على منهاج النبوة؟ ولماذا؟ ٥٢
- مصدر المهتدي هو الوحي: ٥٣
- منهاج النبوة عليه المؤمنون المتقون وهم الناجون والمرحومون: ٥٤

من إصدارات المؤلف

